النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٨ / ١٩٩٩
الأحد ٢١ شباط
أحد مرفع الجبن (أحد الغفران)
تذكار نفي آدم من الفردوس
تذكار أبينا البار تيموثاوس الذي في سمبلة
والقديس أفستاثيوس أسقف إنطاكية العظمى
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر الرابع

الـــرســـالـــة (رومية ١٣ : ١١ – ١٤؛ ١٤ : ١ – ٤)
الإنـــجـــيـــل (متى ٦ : ١٤ – ٢١)

+ أحد الغفران

يسمّى أحد مرفع الجبن الذي يسبق بدء الصوم الكبير، أحد الغفران لأننـا نقـرأ فـي القداس الإلهي لهذا اليوم المقطع الإنجيلي من متى الرسول الذي يتكلّم عن الغفـران: " قـال الرب إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي " (متى ١٤:٦).

بعد هذه الدعوة للغفران ينتقل الرب يسوع في الآية التالية للحديث عـن الصـوم: " ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين" (متى ١٦:٦). وخلاصة هذا النص الإنجيلـي أن الغفران يسبق الصوم عن الأطعمة، وان الصوم لا معنى له بدون غفران وقلب طـاهر، وإلا يصحّ فينا القول النبوي القديم: " هذا الشعب قد اقترب إلي بفمه وأكرمني بشفتيه وأمـا قلبـه

فأبعده عني" (اشعياء ١٣:٢٩) الذي ردّده يسوع مضيفاً عليه " باطلاً يعبدونني " (متى ٩:١٥).

لقد وعى الآباء القديسون تعاليم الرب يسوع الذي علّم انه " إن قدّمتَ قربانك الى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعالَ وقدّم قربانك" (متى ٥: ٢٣-٢٤)

نحن متجهون في رحلة الصوم نحو الذبيحة الدموية الحقيقية، نحو ذبيحة الصليب والآلام والقيامة، ولا نستطيع الإنطلاق نحو هذه الذبيحة إلا بقلوب غافرة، طاهرة ونقية. يذكّرنا الآباء في هذا اليوم بضرورة الغفران، وسوف نجدهم يذكّروننا به أيضاً يوم عيد الفصح، في آخر صلاة سَحَر العيد، عند ترتيل " اليوم يوم القيامة " المطوَّلة بلحنها البهيج الرائع، يذكّروننا انه ينبغي أن نغفر بعضنا للبعض الآخر قبل أن ننشد المسيح قام : " اليوم يوم القيامة ... ولنقل يا إخوة ولنصفح لمبغضينا عن كل شيء في القيامة، ولنهتف هكذا قائلين: المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور". أنت لا تستطيع حتى إنشاد " المسيح قام " إذا لم تكن غافراً وصافحاً. الرب يسوع، وهو على الصليب يقدّم ذاته ذبيحة عن البشر، غفر للذين صلبوه. هنا تمكن عظمة يسوع، الذي اتّضع الى أقصى الدرجات وغفر وسامح، لذلك انتصر على الشيطان الذي ظنّ أن يسوع سوف يسقط قبل الباقين. يسوع، قبل أن يعلّمنا الغفران، غفر وسامح. وهذه طريقنا للنصر.

في عشية يوم احد الغفران، وبعد صلاة الغروب، يقام عادة طقس الغفران ويكون على الشكل التالي : بعد الإنتهاء من صلاة الغروب تبدأ الجوقة بترتيل أناشيد الفصح لتذكّرنا بأن هدف رحلتنا في الصوم هو الفصح، وأثناء الترتيل يتقدّم الإخوة كافة في الكنيسة ويقبّلون بعضهم بعضاً ويطلبون الغفران من بعضهم قائلين : " اغفر لي يا أخي أنا الخاطئ" ويجيب الأخ " الله يغفر لك أيها الأخ القديس ". طبعاً هذا الطقس يجب أن يكون صادراً من القلب، عن قناعة بكلام الرب، وإلا فإنه يصير مجرد تمثيل على أنفسنا وعلى الله. الغفران هو أقصى درجات التواضع، إذ فيه يطرح الإنسان كل أناه ليصبح الآخر مشتهاه وهدفه. ألا جعل الله صيامنا مقبولاً عنده فنفرح معاً بقيامة المسيح.

+ القديس بوليكاربوس

تعيّد الكنيسة المقدسة في الثالث والعشرين من شباط لتذكار القديس الشهيد في الكهنة بوليكاربوس أسقف إزمير في آسيا الصغرى. اسمه يعني " الكثير الثمر " ، وقد كانت ثماره الروحية كثيرة وثمار جهاداته حتى الدم وفيرة فنال إكليل المجد في ملكوت الله.

وُلِدَ القديس بوليكاربوس في الربع الثالث من القرن الأول المسيحي في إزمير على الأرجح. عاصر الرسل وعايشهم حتى أن تلميذه، القديس ايريناوس، يذكر في رسالته الى ترتليانوس ان القديس يوحنا الرسول هو الذي سام بوليكاربوس أسقفاً على إزمير، ربما في أواخر القرن الأول. ويُعتقد أن الرسالة التي وجهها الرسول يوحنا الى ملاك مدينة إزمير في سفر الرؤيا (٢: ٨–١١) موجّهة الى بوليكاربوس، وفيها يحثّه على عدم الخوف من الآلام الآتية عليه، ويحذّره من الشيطان الذي سوف يحاول الإيقاع به ويقول له: " كن أميناً حتى الموت فسأعطيك إكليل الحياة " (أية ١٠).ويقول القديس أيريناوس انه لا يزال يذكر الاحتشام والرصانة التي كان عليها القديس، إضافة الى قداسة سيرته. وأبرز ما أثر فيه ذكر القديس بوليكاربوس المحادثات التي أجراها مع الرسل الإلهيين معاينيي الرب.

من الذين عرفوا القديس بوليكاربوس كان القديس إغناطيوس الإنطاكي الذي مرّ بإزمير في طريقه الى الاستشهاد من إنطاكية الى روما، وحلَّ ضيفاً على بوليكاربوس، وأرسل له لاحقاً رسالة من مدينة فيليبي فيها الإرشادات والتعزية (أوائل القرن الثاني).

ساس بوليكاربوس رعيته بأمانة وتفانٍ وحارب الهرطقات التي حاولت النيلَّ من الإيمان القويم. كان رجل محبة ووفاق، حتى انه زار روما في العام ١٥٥ أو ١٥٧ لملاقاة البابا أنيكتوس والاتفاق على موعد تعييد الفصح. إذ كان الغرب يعيّد الفصح في يوم الأحد، فيما تعيّده آسيا الصغرى يوم ١٤ نيسان في أي يوم وقع. ولما لم يتفقا اشتركا معاً في القداس الإلهي وعاد الى بلاده دون أن يكون انقسام في الكنيسة. وبقي بوليكاربوس يرعى رعيته الى أن حان وقت الاستشهاد الموعود، وقد يكون عام ١٦٦.

أما استشهاده فكان على الشكل التالي: حين رأى الوثنيون عظمة احتمال القديس جرمانيكوس ورفاقه العذابات، طالبوا بالقبض على بوليكاربوس زعيم المسيحيين. خرج بوليكاربوس بناءً على إلحاح المؤمنين الى الكروم، خارج المدينة، وبقي هناك يتضرّع الى الله من أجل الكنيسة. وقبل ثلاثة أيام من استشهاده شاهد في رؤيا وسادته مطروحة في النار، فأيقن أن استشهاده سيكون عن طريق حرق جسده حياً. طارده الجنود من مكان الى آخر، وأخيراً ألقوا القبض على أثنين من رفاقه، وقد أرشدهم أحدهما، تحت وطأة العذاب، الى مكان بوليكاربوس. أما هو فرفض الهرب مجدداً قائلاً: لتكن مشيئة الله. أُلقِيَ القبض عليه فطلب أن يسمحوا له بالصلاة قبل الإنطلاق، وصلّى لمدة ساعتين منتصباً على قدميه، وعمره أكثر من خمسة وثمانين سنة. في الطريق حاول العسكر إقناعه بالعدول عن الإيمان حيناً، وتهديده حيناً آخر فلم ينجحوا. أهانوه وعذّبوه فلم يتغيّر بل سمع صوتاً سماوياً يقول له: " تشجّع يا بوليكاربوس وكن ثابتاً."

حاول الوالي إقناعه بالطاعة والإشفاق على شيخوخته فرفض وصرخ من أعماق الروح: " لِيَبِدْ المنافقون"، وأضاف: " قد مضى عليَّ ثمانون سنة أخدم فيها يسوع المسيح الذي قط ما فعل معي شراً، بل بالحري كنت كل يوم أقتبل منه نِعَماً جديدة. فكيف إذاً يمكنني أن أقول شراً ضد خالقي، أو أهين حافظي والمحسن إلي وبأي طريقة أستطيع أن أغيظ مخلصي وإلهي الذي هو القاضي الأعلى العتيد أن يكافئ الأخيار وينتقم من الأشرار المنافقين". وفي مناسبة أخرى قال للوالي : " أعلن لك أنني مسيحي أنا وأنني أتمجّد وأعتزّ وافرح وأتهلل بهذا الإسم". كما أعلن أن الخضوع هو لله فقط. ولما أمر الوالي بإحضار الوحوش تهلّل القديس واعتبر الأمر ربحاً له لأنها سوف تريحه من أتعاب هذا العالم وترسله الى المجد.

لما عاين الوالي عدم خوفه من الوحوش هدده بالحرق حياً، فأصبح حينها وجه القديس مشعاً نوراً وبهجة. ولأن الفترة المحددة لمشاهدة الوحوش قد انتهت، أمر الوالي بأن يطرح بوليكاربوس حياً في النار. وفيما كان الوثنيون يجمعون الحطب للأتون كان بوليكاربوس يخلع ثيابه بنفسه إستعداداً. وعندما حاول الجلاّدون تسميره الى خشبة وربطه لكي لا يتخبّط في النار من شدة العذاب، طلب منهم أن يتركوه " لأن الذي يهبني قوة لكي أحتمل شدة حريق النار هو نفسه يجعلني ألبث ساكناً بهدوء من غير احتياج الى مساميركم". أوثقوا يديه وراء ظهره ووضعوه فوق الأخشاب. صلّى وشكر الرب لأنه أوصله الى هذه الساعة الحاضرة " مصيراً إياي أن أشترك بكأس آلام مسيحك حتى تشركني بقيامته أيضاً وبالحياة الأبدية".

أضرموا النار قوية لكنها، بعناية إلهية، لم تلمس جسده، بل كانت تنبعث من جسده رائحة عطرة. لما شاهد الجند هذا طعنوه بحربة وسالت دماؤه غزيرة. وهكذا أكمل القديس تضحيته بالدم ونال تاج الغلبة وإكليل المجد وصُلب عن يمين الآب.

كتب تلاميذ بوليكاربوس سيرة استشهاده التي ما زالت محفوظة عندنا حتى اليوم ويذكرون أنه بعد استشهاده جمعوا رفاته " التي فاقت قيمتها قيمة اللآلئ وكانت أشرف من الذهب النقي المختبر في البوتقة" ووضعوها في مكان لائق وكانوا يجتمعون كل عام في يوم استشهاده كيوم ميلاده ليقيموا تذكاره. فبشفاعة قديسك بوليكربوس يا رب ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ الحقد

ان الفضائل تقود من يختارها الى السماء أما الرذائل فإنها تتراكم لتشكّل حجر رحى يربط النفس البشرية وينزل بها الى القعر فتهلك. الغضب يولّد البغض والحقد وليد البغض.

الحقود إنسان يدّخر خطاياه لأنه يمقت البرّ، تتسمّم نفسه وتضمحل فضائله فيتغرّب عن المحبة الأولى.

من يعرف الحقد الى قلبه سبيلاً، إنسان محكوم بمرارة مستمرة. انه من يعتقد أن إساءة الآخرين إليه تخوّله حق الانتقام منهم. من يقيم الحقد في قلبه يصير عبداً للحزن. الغضب والبعض والحقد إن اجتمعت، أمراض تظلم الفكر والقلب لأنها تجرّ صاحبها الى الوقوع في فخ طلب الانتقام والتشفي، علّه بذلك يشفي غليل نفسه العطشى الى الانتقام. من يتخذ الحقد سبيلاً يتوهّم، مخطئاً، أن الانتقام وسيلة لإطفاء نار العذاب وبلسمة الجراح.

الحاقد مسكين لا يعرف أن الشيطان يعبر الى النفس مصطحباً معه شياطين عديدة تجلب معها كل أنواع الشرور. من يصفعه ألم البغض ويتملّكه الحقد، يتهاوى في مجاهل الضعف الذي يولّد ضعفاً أشد. المشكلة أن من يتملّكه ضعف الحقد يظن ذاته قوياً متمكناً من نفسه وممسكاً بمصيره ومصير سواه.

وحده من يستطيع أن يتخطى البغض والحقد هو الشجاع الحقيقي لأن قوّته من عند الله مخلّصه، لا من خلال قوّة انتقامه.

دواء الحقد هو تسليم الذات الى الله ليهدئ من روع القلب المضطرب. الله يُسكن الراحة الحقيقية والهدوء والطمأنينة والسلام في نفوسنا.

من منا لم يقده غضبه الى حافة الحقد. من منا لم يظن أن الانتقام معبر الى السلام. إن الشيطان، أبا الكذب، يوهم كل من يقع فريسة إساءة الآخرين، بضرورة استعمال سلاح الحقد والانتقام فيكسب الشيكان بذلك مرتين: مرة لأنه نسبّب بفعل الإساءة وثانية لأنه تسبّب بردة الفعل عليها.

قد يسأل كل منا كيف أواجه إساءة الآخرين ؟ كيف أتخطى الألم الذي يفجر الحقد؟
الجواب في قول السيّد : " إن كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد أبغضني قبلكم " (يو ١٥:١٨)

محبة الله المزروعة في الإنسان قادرة أن تلاشي الحقد. من يربّي الكراهية في نفسه(حتى ولو كانت نتيجة جرح) يجلب لنفسه مهالك.

يقول القديس يوحنا السلّمي : " إن أردت أن تبغض فأبغض الشيطان. من طرح الضغينة وجد الغفران عن خطاياه، ومن تمسّك بالحقد حُرِم من الرحمة الإلهية."

إن الذي لا يبغض ولا يحقد هو من يعرف طريق التوبة عن خطاياه، لأن من عرف عظمة خطيئته لا بد أن تدخل الرحمة الى قلبه فيطلب من الله صفحاً عن خطاياه ومغفرة ذنوبه. هذا يرمي وراءه كل رغبة فاسدة تشتهي الكراهية والبغض والحقد وحب الانتقام ويفتح باب المسالمة.

الرفق والوداعة سلاح الأقوياء يقارعون به الشرّ والغضب. الهدوء والسلام الداخلي ينجيان صاحبهما من كل المساوئ. فطوبى لمن عرف السلام الداخلي ،هذا يسكن الله في قلبه وهو يعرف راحة تدوم الى الأبد.

+ مراثي آدم في الفردوس

عرف آدم، أب كل البشرية، لطف وعذوبة حب الله في الفردوس، وهكذا توجّع، بمرارة، عندما طُرِد من جنّة عدن بسبب خطيئته وخسر حب الله، فانتحب بزفرات عظيمة، وملأ عويله كل الصحراء لأن روحه كانت معذبة بالفكر التالي : إني أغضبت الله الذي أُحبُّه ويُحبّني". لم يندم آدم كثيراً على فقدان الجنّة وجمالها، لكنه ندم لأنه خسر حب الله الذي في كل لحظة يشدّ الروح إليه بدون توقّف.

كذلك كل نفس عرفت الله بالروح القدس، ثم فقدت النعمة، تمرّ بالعذابات التي مرّ بها آدم. الروح مريضة وتجرَّب بندم مؤلم لأنها جرحت حب سيّدها.

إكتأب آدم على الأرض وانتحب بمرارة. العالم لم يكن حنوناً وعذباً معه، فتنهّد أمام الله وصاح: " إن روحي تكتئب إليك يا سيّدي، وأطلبك بدموع . – كيف لا أبحث عنه؟ إذ كنت معه، كانت روحي فرحة مستكينة والعدو لم يكن له أي وصول إليَّ، لكن الآن، أحكم الروح الشريّر عليَّ قبضته ليضرم نفسي ويعذّبها. لهذا تتوق روحي لأن تفنى في السيّد، نفسي تنشدّ الى الله، ولا شيء في العالم يفرّحني. لا شيء يعزّيني أبداً، إن روحي تشتاق مجدّداً لأن تعاين السيّد، وأن تمتلئ منه. لا أستطيع أن أنساه لحظة واحدة، ونفسي تضني باتباعه، حزني عظيم جداً، لذلك أبكي بشهيق وبزفرات: ترأف بي، يا الله ، تحنّن على عبدك الساقط."

هكذا ناح آدم وانتحب، وسالت الدموع من وجهه على صدره وحتى التراب، وكل الصحراء ردّدت صدى نواحه وتأوّهاته. الحيوانات والعصافير خرست من الألم، لكن آدم بكى، لأنه أضاع كل شيء بسبب خطيئته: السلام والحب. عظيماً كان ضيق آدم عندما طُرد من الفردوس، لكنّه لما رأى قايين يقتل أخاه هابيل تضاعف عذابه وانسحقت الروح بالألم فانتحبت في رؤيا قائلة: " مني ستخرج وتتكاثر شعوب برمّتها، كلّهم سيتعذّبون، وسيحيون في العداء وسيقتلون بعضهم بعضاً." هذا الألم كان عظيماً جداً مثل اليم، ولا يفهمه إلاّ من خبرت روحهم السيّد ويعرفون كم يحبّنا الرب الإله. أنا أيضاً، فقدت النّعمة. وصرخت مع آدم بصوت واحد: " كن رحوماً معي، يا سيّد، كن رحوماً. إمنحني روح اتّضاع، روح حب". يا لرأفات سيّدي! يا لتعطّفه، يا لحنانه! فالذي عرفك، بلا سام وبدون إعياء يبحث عنك، يطلبك

ليل نهار صارخاً: " أتوق إليك يا سيّدي وأفتّش عنك بدموع. كيف لي أن لا أرومك؟ أنت أعطيتني أن أعرفك بالروح القدس، وهذه المعرفة الإلهية تشدّ روحي للبحث عنك نائحة."

وانتحب آدم أيضاً قائلاً: " ليس لي مكان راحة في الصحراء، ليس لي مكان في الجبال العالية، ولا في المراعي، ولا في الغابات، ولا في تغاريد العصافير، ولا هناء في نفسي ولا أفرح بأي شيء حولي، إن روحي غارقة في شحن عميق لأنّي أغضبت إلهي.

القديس سلوان الآثوسي